

كن عفيفاً





سلسلة كُن

١٨

كُن عفيفاً

إعداد
مصطفى فهمي

إشراف
عاطف عبد الرشيد



بسم الله الرحمن الرحيم

حَرَصَ الإسْلاَمُ عَلَى أَنْ يَتَخَلَّقَ المُسْلِمُونَ بِخُلُقِ العِفَّةِ، إذْ إنَّهُ مِنْ أخْلاَقِ الإِسْلاَمِ الحَمِيدَةِ.

والعِفَّةُ هِيَ أَنْ يَتْرُكَ الإِنْسَانُ الشَهَوات فَلاَ يَصِيرَ عَبْداً لَهَا. وَيَدْعُونَا اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ إِلَى التَّحَلِّي بِالعِفَّةِ فَيَقُولُ: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النُّور: ٣٣].

كَمَا قَالَ سُبْحانَهُ: ﴿وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النُّور: ٦٠].

وَقَدْ حَذَّرَ الرَّسُولُ ﷺ مِنَ عدمِ التعفُّفِ؛ فَعَنْ أَبِي بَرْزَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "إِنَّما أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهَواتِ الْغيِّ فِي بُطُونِكُم وَفُرُوجِكُم وَفَضَلاتِ الهَوَى" [أحمد].

والعِفَّةُ تَاجٌ عَلَى رُؤُوسِ الصَّالِحِينَ، وَزَادٌ فِي طَرِيقِ اللهِ لِلسَّائِرِينَ، وَحِصْنٌ لِعِبَادِ اللهِ المُتَّقِينَ، أولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ، وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ.

كُنْ عَفِيفاً

لَنْ تَكْتَمِلَ عِزَّةُ المُسْلِمِ وكَرَامَتُهُ مَا لَمْ يَكُنْ عَفِيفًا مُتَعَفِّفًا. وَمِنْ صُوَرِ العِفَّةِ التي نَدْعُوكَ إلَيْها: العفة عَنِ الزِّنَى وعَنِ السُّؤَالِ وعَنْ أمْوَالِ المُسْلِمينَ وعَنْ أمْوَالِ اليَتَامَى.

كُنْ عَفِيفاً عَنِ الزِّنَى

الزِّنَى كَبِيرَةٌ مِنَ الكَبَائِرِ الَّتِي حَرَّمَها اللهُ تعَالَى وَشَدَّدَ عَلَى عُقُوبَةِ فَاعِلها، وَعَلَى المُسْلِم أن يَتَعفَّفَ عنها. يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النُّور: ٢].

*** كُنْ مُلْتَزِماً بِخُلُقَ العِفَّةِ عَنِ الزِّنَى بِمَا يَلِي :**

١ ـ الخَوفُ مِنَ اللهِ : الخَوفُ مِنَ اللهِ ـ تَعَالَى ـ يَرْدَعُ كُلَّ آثِمٍ يُرِيدُ أَنْ يَقْتَرِفَ الذُّنُوبَ والآثَام، مِمَّا يُبْعِدُهُ عَنْها خَشْيَةً لِرَبِّهِ. جَاءَ فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ إِلى الرَّسُولِ ﷺ وَسَأَلَهُ: مَا الإحْسَانُ؟ فَقَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ" [متفق عليه].

٢ ـ **غَضُّ البَصَرِ** : النَّظرةُ المحرَّمَةُ أوَّلُ مَراحِلِ الزِّنَى، وَقَدْ حَثَّ النَّبي ﷺ عَلَى غَضِّ البَصَرِ وخَفْضِهِ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ. يَقُولُ تَعَالَى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]. وعَنْ أبِي هُرَيْرةَ ـ رَضِي اللهُ عَنْهُ ـ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: "كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَى مُدْرِكٌ ذَلِكَ لاَ مَحَالَهَ، العَيْنَانِ زِنَاهُما النَّظَرُ، والأُذُنَانِ زِنَاهُما الاسْتِمَاعُ، واللِّسَانُ زِنَاهُ الكَلاَمُ، والْيَدُ زِنَاهَا البَطْشُ، والرِّجْلُ زِنَاهَا الخُطَا، والقَلْبُ يَهْوَى ويَتَمنَّى، ويُصَدِّقُ ذَلِكَ الفَرْجُ أوْ يُكَذِّبُهُ" [متَّفقٌ عليه].

٣ ـ **تَجَنُّبُ الْخَلْوَةِ بالأجْنَبِيَّة** : خَلْوَةُ الرَّجُلِ بِالمَرْأةِ سَبِيلٌ مِنْ سُبُلِ الزِّنَى، فَمَا اجْتَمعَ رَجُلٌ وامْرأةٌ إلاَّ وكَانَ الشَّيْطَانُ ثَالِثُهُما. عن ابنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِي اللهُ عَنْهُما ـ قَالَ: قَالَ ﷺ: "لاَ يَخْلُونَّ أحَدُكُم بِامْرأةٍ إلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ" [متَّفقٌ عليه].

وعَنْ بُرَيْدَةَ ـ رَضِي اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "حُرْمَةُ نِسَاءِ المُجاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ كحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِم، مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ القَاعِدِينَ (غَيْرِ المُجَاهدِين) يَخْلُفُ رَجُلاً مِنَ المُجَاهِدِينَ فِي أهْلِه، فَيَخُونُهُ فِيهِمْ إلاَّ وَقَفَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ يَأخُذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ حَتَّى يَرْضَى" ثُمَّ الْتَفَتَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: "مَا ظَنُّكُم؟" [مسلم].

٤ ـ **تَجنُّبُ كَثْرةِ الكَلاَمِ مَعَ النِّساءِ** : الشَّيْطَانُ يُزَيِّنُ المعصيةَ للإنْسانِ حَتَّى يُوقِعَهُ فِي الزِّنَى، وَمنْ مَدَاخِله إِلَى ذَلكَ أنْ يُغْرِيَ المَرْءَ بِالْحَدِيثِ إِلَى النِّساءِ وَيُحَبِّبَ ذَلكَ إِلَيْه. يَقُولُ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ ....﴾ [النُّور: ٢١].

وَيُرْوَى أنَّ شَابًّا عَابِدًا كَانَ بِالكُوفَة (مَدِينَة بِالْعِراق) فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ فِي الطَّرِيقِ، وَقَالَتْ لَهُ: يَا فَتى، اسْمَعْ مِنِّي كَلمَاتٍ أُكَلِّمُكَ بِهَا. فَقَالَ لَهَا: هَذَا مَوْقِفُ تُهْمَةٍ، وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لِلتُّهَمَةِ مَوْضِعًا.

*** ثمار التمسك بِخُلُق العِفَّةِ عَنِ الزِّنَى :**

١ ـ **عِفَّةُ نِسَائك** : إِذَا رَاعَى المُسْلِمُ حُرْمَةَ نِسَاءِ المُسْلِمِينَ، حَفظَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ نسَاءهُ وَجَعَلَ العفَّةَ خُلُقًا يَلْتزِمْنَ بِهِ. رُوِيَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "بِرُّواْ آبَاءكُمْ، تَبرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُم، وَعِفُّواْ، تَعِفَّ نِسَاؤُكُم"

٢ ـ **ظِلُّ عَرْشِ الله** : وَعَدَ اللهُ تعالَى المُتَعَفِّفِينَ مِنْ عِبَاده بِأن يُظِلَّهمُ بِظِلِّه يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّه. قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّه يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّه (وذكَرَ مِنْهُمْ): وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ" [مُتَّفَقٌ عَلَيه].

٣ ـ التَّشبُّهُ بِيوسُفَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ : لَقَدْ ضَرَبَ لَنَا نَبِيُّ اللهِ يُوسُفُ أروَعَ مثلٍ فِي العِفَّةِ عَنِ الزِّنى، ألا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مُشابِهاً لِنَبِيٍّ مِنْ أنْبِياءِ اللهِ؟! يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يُوسُف: ٢٣].

كُنْ عَفِيفاً عَنِ السُّؤَال

السُّؤَالُ بِلاَ دَاعٍ أَوْ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ ذِلَّةٌ وَمَهَانَةٌ، وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ عِزَّةَ المَرْءِ فِي تَعَفُّفِهِ عَنْ سُؤَالِ النَّاسِ مَا دَامَ غَيرَ مُضْطَرٍّ إِلَى ذَلِكَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَوْ يَعْلَمُ صَاحِبَ المَسْأَلَةِ مَا لَهُ فِيهَا لَمْ يَسْأَلْ" [الطبراني].

وَيَذْكُرُ القُرْآنُ الكَرِيمُ هَذِهِ الْفِئَةَ مِنَ النَاسِ فَيَقُولُ رَبُّ العِزَّةِ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ....﴾ [البقرة: ٢٧٣].

*** كُنْ مُلْتَزِماً بِخُلُقِ العِفَّةِ عَنِ السُّؤَالِ بِمَا يَلي :**

١ ـ **الاسْتِعْفَافُ** : عَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَسْتَعْفِفَ مَا اسْتَطَاعَ بِأَنْ لاَ يُعَرِّضَ نَفْسَهُ لِلْمسألَة، وَأَنْ يَكْتَفِيَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ مِنَ الرِّزْقِ. قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "اليَدُ العُلْيا خَيْرٌ مِنَ السُّفْلَى (والْيَدُ العُلْيا هِيَ المُنْفِقَةُ، والسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَة)" [مُتَّفقٌ عليه].

٢ ـ **الاجْتِهَادُ فِي العَمَل** : إِنَّ اجْتِهَادَ المَرْءِ فِي عَمَلِه يَكُفُّهُ (يَمْنَعُهُ) عَنْ مسأَلَةِ النَّاسِ والحَاجَةِ إِلَيْهِم. قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُم حَبْلَهُ، فَيَأْتي بِحِزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَها، فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسِ، أَعْطَوهُ أَوْ مَنَعُوهُ" [البخاري].

٣ ـ **كَسْبُ اليَد** : أَوْضَحَ رَسُولُ الله ﷺ أَنَّ خيرَ لُقْمَةٍ يَطْعَمُهَا العَبْدُ مَا كَانَ مِنْ عَمَلِ يَدِه، وَقَدْ كَانَ نَبِيُّ الله دَاوُدُ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَده. قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ" [البخاري].

٤ ـ **ألاَّ تكُونَ عِبْئًا عَلَى النَّاسِ** : إِذَا أَكْثَرَ المَرْءُ السُّؤَالَ أَصْبَحَ غَيرَ مَرْغُوبٍ فيهِ مِنَ النَّاسِ، لأَنَّهُ يكُونَ عِبْئًا عَلَيْهِم. قَالَ ﷺ: "لَيْسَ بَخَيْرِكُمْ مَنْ تَرَكَ دُنْياهُ لآخِرَتِه، وَلاَ آخرتَهُ لِدُنْياهُ، حَتَّى يُصِيبَ مِنْهُما جَمِيعًا، فَإِنَّ الدُّنْيا بَلاَغٌ إِلَى الآخِرَةِ، وَلاَ

تَكُونُواْ كَلاً (عِبْئًا) عَلَى النَّاسِ" [الدَّيْلَمي]. فَلَيْسَ مِنَ الإسْلاَمِ أَنْ يتفرَّغَ المَرءُ لِلْعِبادَةِ ولا يطلبُ الرِّزْقَ مِمَّا يَضْطَرُّهُ لِسُؤَالِ النَّاسِ.

*** ثمار التمسك بِخُلُق العِفَّةِ عَنِ السُّؤَالِ :**

١ ـ **الغِنَى مِنَ اللهِ** : يُغْنِي اللهُ مِنْ فَضْلِه مَنْ يَتَعَفَّفُ عَنْ سُؤَالِ النَّاسِ والاتِّكَالِ عَلَى مُسَاعَدتِهِم لَهُ. قالَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ، يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ، يُغْنِهِ اللهُ" [مُتَّفق عليه].

٢ ـ **حِفْظُ مَاءِ الوَجْهِ** : تَزْدَادُ كَرامَةُ المَرْءِ وعِزَّتُهُ مَا لَمْ يَسْأَلِ النَّاسَ عَطَاءً أَوْ مُسَاعَدَةً، فَكَثْرَةُ السُّؤَالِ تُذْهِبُ مَاءَ الوَجْهِ.

وَرَدَ أَنَّ لُقْمانَ الحَكِيمَ قَالَ لابْنِه: يَا بُنَيَّ، إِيَّاكَ والسُّؤَالَ، فَإِنَّهُ يُذْهِبُ مَاءَ الحَيَاءِ مِنَ الوَجْهِ، وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا اسْتِخْفَافُ النَّاسِ بِكَ. وَنَصحَ وَالِدٌ وَلَدَهُ فَقَالَ: إِيَّاكَ أَنْ تُرِيقَ (تَسْكُبَ)، مَاءَ وَجْهِكَ عِنْدَ مَنْ لا مَاءَ فِي وَجْهِهِ.

٣ ـ **القُرْبُ مِنَ النَّاسِ** : الإنْسَانُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ عَنْ سُؤَالِ النَّاسِ، يكُونُ خَفِيفًا عَلَيْهِم، مُقَرَّبًا إِلَيْهِم، ذَا قَدْرٍ وَمكانَةٍ لَدَيْهِم.

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

مَنْ عَفَّ، خَفَّ عَلَى الصَّدِيقِ لِقَاؤُهُ

وَأَخُو الحَوَائِجِ وَجْهُهُ مَمْلُولُ

وَأخُـوكَ مَـنْ وَفَّـرْتَ مَـا فِـي كِيسِـهِ
فَـإِنْ عَبَثْـتَ بِـهِ، فَأَنْـتَ ثَقِيـلُ

كُنْ عَفِيفاً عَنْ أمْوالِ المُسْلِمِين

أَمْوَالُ المُسلِمينَ أمَانَةٌ فِي رِقَابِ القَائِمينَ عَلَيْها، وَلاَ يَطْمَعُ فِيهَا إلاَّ كُلُّ آثِمٍ بَعِيدٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ.

*** كُنْ مُلْتَزِماً بخُلُق العِفَّةِ عَنْ أمْوَالِ المُسْلِمين بِمَا يَلي:**

١ ـ **عَدَمُ أَخْذِ مَا لَيسَ لَكَ فيهِ حَقٌّ**: مِنْ طَمَعِ المَرْءِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا لَيسَ لَهُ فيهِ حَقٌّ بُغْيَةَ الاسْتِحَواذِ عَلَيْهِ وامْتِلاكِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وَيُرْوَى أَنَّهُ فِي إِحْدَى المَعارِكِ، أَتَى أَحَدُ الجنُودِ بِتَاجِ كِسْرَى وَسِوَارَيْهِ (قطعتين من الذهب تُلبسان في الذِّراعين)، وَلَمَّا وُضِعَ أَمَامَ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ قَالَ: واللهِ إِنَّ الّذى أَدَّى إِلَيْنا هَذَا لأَمِينٌ. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ المؤُمِنينَ، أَنْتَ أَمِينُ اللهِ، يُؤدُّونَ مَا أَدَّيْتَ إِلَى اللهِ، فَإِذَا رَتَعْتَ (خُنْتَ الأَمَانَةَ) رَتَعُواْ (أَي خَانُواْ الأَمَانَةَ أَيْضًا) فَقَالَ عُمَرُ: صَدَقْتَ.

٢ ـ عَدَمُ استِخْدامِ الأشياءِ الشَّخْصِيَّةِ لِلنَّاسِ: المُسْلِمُ يَتَوَرَّعُ عَنِ استِخْدامِ الأشياءِ الشَّخْصِيَّةِ للنَّاسِ؛ إِذْ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ حَقٌّ فِي ذَلك. يُحكَى أنَّ الخَلِيْفَةَ العَادلَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ العَزِيزِ كَانَ يَنْظَرُ فِي قَضَايَا الرَّعِيَّة لَيْلاً عَلَى ضَوْءِ سِرَاجٍ، فَجَاءَ غُلاَمٌ، فَحَدَّثَهُ فِي أَمْرٍ يَتَعَلَّقُ بِبَيْته، فَقَالَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ أطْفِئ السِّرَاجَ، ثُمَّ حَدِّثْنِي لأَنَّ هَذَا مِنْ بَيْتِ مَالِ المُسْلِمينَ وَلاَ يَجُوزُ اسْتِعْمَالُهُ إلاَّ فِي أَشْغَالِ المُسْلِمينَ. فنعمَ الحاكمُ العادلُ عُمَرُ بن عَبْدِ العَزِيز.

٣ ـ الزُّهْدُ والقَنَاعَةُ: مِنْ تَعَفُّفِ المَرْءِ عَنْ أمْوَالِ المُسْلمينَ أَنْ يَزْهَدَ فِي أمْوَالِ المُسْلِمينَ إرْضَاءً لله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ.

كَتَبَ الخَلِيْفَةُ المَنْصُورُ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ بِثَلاثِينَ أَلْفِ دِرْهَمٍ عَلَى دفعَاتٍ، فَحَدَّثَتْ أَبَا حَنِيْفَةَ نَفْسُهُ: كَيْفَ تَأْخُذُ كُلَّ هَذَا المَالِ، وَهُوَ مِنْ مَالِ المُسْلِمينَ. فَفَكَّرَ أَبُو حَنِيْفَةَ فِي حِيْلَةٍ لِيَرُدَّ هَذَا المَالَ، فَذَهَبَ إِلَى أَمِيرِ المُؤمنِينَ، وَشَكَرَهُ عَلَى صَنِيْعَهُ ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤمنِينَ، إِنِّي بِبَغْدادَ غَرِيْبٌ، وَلَيْسَ عِنْدِي مَوْضعٌ أَضَعُ فِيهِ هَذِهِ الأَمْوَالَ الكَثِيرَةَ، فَأَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي بَيْتِ مَالِ المُسْلِمينَ، حَتَّى إِذَا أَرَدْتُها أَخَذْتُها. فَأَجَابَهُ المَنْصُورُ إِلَى ذَلِكَ.

وَمَرَّت الأَيَّامُ حَتَّى تُوفِي أَبُو حَنِيْفَةَ، وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْ ذلكَ المَالَ شَيْئًا، فَقَالَ أَبُو جعْفَرٍ المَنْصُورُ: أَخَدَعَنَا أَبُو حَنِيْفَة، ثُمَّ رَدَّ المَالَ إِلَى بَيْتِ مَالِ المُسْلِمينَ. وكَانَ الإِمَامُ أَبُو حَنِيْفَةَ يَقُولُ:

عَطَاءُ ذِي العَـرْشِ خَيْـرٌ مِـنْ عَطـائِكُمُ

وَفَضْــلُهُ وَاسِــعٌ يُرْجَــى لِمُنْتَظِــرِ

أَنْــتُم بِكَــدَرٍ مَــا تُعْطُــونَ مَــنَّكُمُ

واللهُ يُعْطِــي بِــلاَ مَــنٍّ وَلاَ كَــدَرِ

*** ثمار التمسك بِخُلُق العِفَّةِ عَنْ أَمْوالِ المُسلِمينَ :**

١ ـ **حِفْظُ النَّفْسِ والأَهْلِ**: يكُونُ ثَوَابُ المُتَعَفِّفِ عَنْ أمْوالِ المُسْلِمينَ أَنْ يَحَفَظَهُ اللهُ وَلاَ يُضَيِّعَ أَهْلَهُ وَذُرِّيَّتَهُ.

قَالَ الإِمَامُ أحْمَدُ بنُ حَنْبل: إنَّ مَنْ يَأكُلُ مِنْ حَرَامٍ أَصْبَحَ مُضَيّعًا لِنَفْسِه أَوَّلاً، ثُمَّ مُضَيّعًا لِذُرِيَّتِه وَأَهْلِه مِنْ أكْلِ هَذَا المَالِ الحَرَامِ، فَوَاجِبٌ عَلَى المُسْلِمِ العَفِيفِ أَنْ يتَحَرَّى الحَلاَلَ دَائمًا.

٢ ـ **عِزَّةُ النَّفْسِ**: كُلُّ مَنْ يَحْفَظُ أمْوَالَ المُسْلِمينَ وَلاَ يَعْتَدى عَلَيْها فهُو إنْسانٌ عَزِيزُ النَّفْسِ، شَامِخُ الرَّأْسِ. قَالَ ﷺ: "طَلَبُ الحَلاَلِ فَرِيْضَةٌ بَعْدَ الفَرِيْضَةَ" [الطبراني والبَيْهقي].

٣ ـ **شُكْرُ اللهِ** : لَيْسَ أدَلُّ عَلَى شُكْرِ العَبدِ لِرَبِّهِ مِنْ أَنْ يَرْضَى بِمَا قَسمَهُ اللهُ لَهُ، فَيَسْتَغْنِي بِهِ عَن أَمْوَالِ المُسْلمينَ الَّتِي هُو مُسْتأمَنٌ عَلَيْها. قَالَ ﷺ: "أفلاَ أكُونُ عَبْداً شكُوراً"[مُتَّفقٌ عليه].

كُنْ عَفِيفًا عَنْ أمْوالِ اليَتَامَى

أفْضَلُ التَّعَفُّفِ أَنْ يَتعَفَّفَ المَرءُ عَنْ أمْوَالِ اليَتَامَى فَلاَ يَأكُلُها بِالْبَاطِلِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النسَاء: ٢].

*** كُنْ مُلْتَزِماً بِخُلُقِ العِفَّةِ عَنْ أمْوَالِ المُسلمينَ بِمَا يَلي :**

١ ـ **أكْلُ الوَلِيِّ الفَقِيرِ مِنْ مَالِ اليَتِيمِ بِالمَعْرُوفِ** : نَهَى اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ عَنْ أكْلِ مَالِ اليَتِيمِ مِنْ غَيرِ حَاجَةٍ ضَرُورِيَّةٍ، فَإِنْ كَانَ وَلِيُّ اليَتِيمِ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ، وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا، فَلْيَأْكُلْ مِنْ مَالِ اليَتِيمِ بِالمَعْرُوفِ دونَ إسْرَافٍ. عَنْ عَمْرو بنِ شَبيبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبيِّ ﷺ فَقَالَ: إنَّ عِنْدي يَتِيمًا عِنْدَهُ مَالٌ، وَلَيْسَ لِي مَالٌ. فهلْ آكُلُ مِنْ مَالِهِ؟ قَالَ: "كُلْ بِالْمَعْرُوفِ غيرَ مُسْرِفٍ" [ابنُ أبِي حَاتِم].

٢ ـ **رَدُّ المَالِ إِلَى اليَتِيمِ :** أفْتَى بَعْضُ الفُقَهَاءِ أَنَّ مَنْ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ مَالِ اليَتِيمِ، وكَانَ فَقِيرًا، ثُمَّ أَصْبَحَ غَنِيًّا، فَعَلَيْهِ أَنْ يَرُدَّ مَا أَخَذَهُ مِنْ مَالِ اليَتِيمِ عَلَى سَبِيلِ رَدِّ الأَمَانَاتِ إِلى أَهْلِهَا.

٣ ـ **إِقْنَاعُ النَّفْسِ عَلَى الرِّضَا بِالْحَلاَلِ :** المُسْلِمُ يُرَغِّبُ نَفْسَهُ فِي الحَلاَلِ وَيُقْنِعُها بِالْمُبَاحِ بَدَلاً مِنَ المَمْنُوعِ، لِيكُونَ ذَلِكَ عَوْناً لَهَا عَلَى طَاعَةِ اللهِ ـ سُبْحانَهُ وتَعَالَى ـ . قَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: مَا أَمَرَ اللهُ بِشيءٍ، إِلاَّ وَأَعَانَ عَلَيْهِ، وَلاَ نَهَى عَنْ شَيءٍ، إِلاَّ وَأَغْنَى عَنْهُ.

*** ثِمَارُ التمسُّكِ بِخُلُقِ العِفَّةِ عَنْ أَمْوَالِ اليَتَامَى :**

١ ـ **النَّجاةُ مِنَ النَّارِ :** تَكُونُ نَجَاةُ المَرْءِ مِنَ النَّارِ بِعَدَمِ مُقَارَبَتِهِ الحَرَامِ لأَنَّهُ ذَنْبٌ عِقَابُهُ النَّارُ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ حَرَامٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ" [متّفقٌ عليه].

٢ ـ **دُخُولُ الجَنَّةِ :** أُعِدَّتِ الجَنَّةُ بِنَعِيمِهَا المُقِيمِ لِلمتقينَ ولأُولَئِكَ الَّذينَ يَخافُونَ اللهَ، فَيَتَعَفَّفُونَ عَنْ أَكْلِ مَالِ اليَتِيمِ بِالْبَاطِلِ. قَالَ ﷺ: "أَهْلُ الجَنَّةِ ثَلاثَةٌ: ... وعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ" [مُسْلِم].

٣ ـ **عَدَمُ التّشبّهُ بِالكُفَّارِ**: لأنهم اعتقدوا أنَّهُ لاَ حِسَابَ لَهُم، ونَسُوا لِقَاءَ ربِّهِم وعَذَابَهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

٤ ـ **التّرفُّعُ عَنْ الدّنَايا** : العفَّةُ فِي الإسلامِ هِيَ عِزَّةُ النّفْسِ وَتَرفُّعُها عَنِ الدّنَايَا، وهِي صِفَةٌ تَرْفَعُ صَاحِبَها عَن الصَّغَائِرِ، وتجعلهُ يَتَرفَّعُ عمَّا لاَ يَلِيقُ بِهِ مِنَ الدّنَايا والشّهَواتِ الرَّخِيصَةِ، وَيُقَاوِمُ دَوَافعَ الشَّرِّ فِي نَفْسِهِ، وَيَثُورُ عَلَى كُلِّ مَا يَقَفُ فِي سَبِيلِ رُقِيِّهِ، وَتَقَدُّمِ أُمَّتِهِ. [أدَبُ الإِسْلاَمِ].

لاَ تَكُنْ مُتَّبِعَ الهَوَى

الْهَوَى هُوَ اتّبَاعُ الشّهَواتِ، وَعَدَمُ ضَبْطِ النَّفْسِ أَمَامَها، فَالهَوَى مَانِعٌ عَنِ الخَيرِ ومُضَادٌّ لِلْعَقْلِ، لأَنّهُ يَأتِي ضِدَّ الفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْهَوى إِلَهٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ.

١ ـ **إبْليسُ ـ عَلَيْهِ لَعْنَةَ اللهِ ـ** : هُوَ أَشْهَرُ المُتَخَلّقِينَ باتِّبَاعِ الهَوَى، فَلَمْ يكُنْ عَفِيفًا وَلاَ مُتَعَفِّفًا، بَلْ هُوَ أَكْبَرُ الزَّائِغِينَ عَنْ طَرِيقِ الحَقِّ وَصِرَاطِهِ المُسْتَقِيمِ، فَقَد اتّبَعَ الكِبْرَ وَرَفَضَ

السُّجودَ لآدَمَ ـ عَلَيْه السَّلاَمُ ـ وقَالَ: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧].

٢ ـ جزَاءُ الظَّالمِينَ: إذَا نَجَح الشّيطَانُ في إغْواء المَرْءِ فيَتَنكّرُ لَهُ بَعْدَ ذَلكَ، ويَكُونُ جزَاءُ العَبْدِ الضَّالِّ أنْ يَدْخُلَ النَّارَ مَعَ إبْليسَ يَوْمَ القيَامَةِ. يَقُولُ تَعالَى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الحشر: ١٦ ـ ١٧].

اِعْرِفْ نَفْسَكَ.. هل أنتَ عفيفٌ؟

وبَعْدَ هَذَا العَرْضِ لِخُلُق العفَّةِ، هَيَّا بِنا نتعرَّفْ عَلَى أنْفُسِنَا مِنْ خِلالِ الإجابَةِ الصَّادِقَةِ عنْ هذهِ الأسئلةِ.

١ ـ هَلْ تَغُضُّ بصرَكَ عَنْ مَحَارِمِ المُسْلمين؟

٢ ـ إِذَا أَرَادَتْ فَتَاةٌ غَرِيبَةٌ عَنْكَ تَخْلُو بِكَ فَهلْ تُوافِقُها عَلَى ذَلِك؟

٣ ـ هَلْ تَجِدُ مُتْعَةً فِي الحَدِيثِ مَعَ النِّساءِ؟

٤ ـ هَلْ تَعْرِفُ قِصَّةَ سَيدنَا يُوسُف مَعَ زَوجَةِ العَزيزِ؟ وماذَا تَسْتَفِيدُ منهَا؟

٥ ـ هَلْ تُحِبُّ العَيشَ مِنْ كَسْبِ يَدِكَ؟

٦ ـ كَيْفَ يَحْفَظَ المَرْءُ مَاءَ وَجْهِهِ؟

٧ ـ هَلْ تَزْهَدُ فيمَا فِي أيْدِي النَّاس؟

٨ ـ إذَا كُنْتَ تَقُومُ عَلَى رِعَايَةِ أمْوَالِ النَّاسِ، فَهَلْ تَأخُذُ مِنْها دُونَ اسْتِئذانِهِم؟

٩ ـ مَا رأيكَ في مَنْ يأكُلُ أمْوَالَ اليَتامَى بِالْبَاطِلِ؟

١٠ ـ بِمَ تَنْصَحُ فَقِيرًا يَقُومُ عَلَى مَالِ يَتيمٍ مِنْ يَتَامَى المُسْلِمين؟

** ** **

سلسلة كن

١-كن أميناً
٢-كن باراً
٣-كن تائباً
٤-كن حليماً
٥-كن حيياً
٦-كن راضياً
٧-كن رحيماً
٨-كن رفيقاً
٩-كن زاهداً
١٠-كن شاكراً
١١-كن شجاعاً
١٢-كن صابراً
١٣-كن طائعاً
١٤-كن صادقاً
١٥-كن عادلاً
١٦-كن عزيزاً
١٧-كن عفواً
١٨-كن عفيفاً
١٩-كن كتوماً
٢٠-كن كريماً
٢١-كن مؤثراً
٢٢-كن متأنياً
٢٣-كن متعاوناً
٢٤-كن متواضعاً
٢٥-كن متفائلاً
٢٦-كن متوكلاً
٢٧-كن محباً
٢٨-كن مخلصاً
٢٩-كن مستقيماً
٣٠-كن مشاوراً
٣١-كن مضحياً
٣٢-كن معتدلاً
٣٣-كن نصوحاً
٣٤-كن ورعاً
٣٥-كن وفياً

٨١٠٠٥٤